الحق؛ لحصول الكمال له أو لغيره»(١).

وأما علو الهمة اصطلاحا: «الهمة العالية هي: استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية»(٢).

وقيل: «خروج النفس إلى غاية الكمال الممكن في العلم والعمل»(٣).

يقول الراغب في صفة كبير الهمة: «الكبير الهمّة على الإطلاق هو: من لا يرضى بالهمم الحيوانيّة قدر وسعه، فلا يصير عبد بطنه وفرجه، بل يجتهد أن يتخصّص بمكارم الشّريعة، والصّغير الهمّة من كان على الضد من ذلك.. والكبير الهمّة على الإطلاق، من يتحرّى الفضائل لا لجاه ولا لثروة ولا للذّة، ولا لاستشعار نخوة واستعلاء على البريّة، بل يتحرّى مصالح العباد شاكراً بذلك نعمة الله، ومتوخّياً به مرضاته غير مكترث بقلّة مصاحبيه فإنَّه إذا عظم المطلوب قلَّ المساعد، وطرق العلاء قليلة الإيناس»(٤).

◆ ثانياً: أهمية وفضل علو الهمة:

بيَّن الله تعالى أهمية وفضل علو الهمة في كثير من الآيات، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى بعد عرض مجموعة من الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقد حث النبي ﷺ على علو الهمة، وأشار إليها بقوله: **(فإذا سألتم الله فاسألوه**

---

(١) التعريفات للجرجاني ص٢٥٧.

(٢) وسائل الإصلاح للخضر حسين ص٥٧.

(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ ص٢٨.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص٢٠٩.

الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة)[١]، وقال ﷺ: **(إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها)**[٢]، وقال ﷺ: **(إذا سأل أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه)**[٣]، ويقول رسول الله ﷺ لمعاذ: **(حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)**، فقال معاذ: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: **(لا تبشرهم، فيتكلوا)**[٤].

«فالإنسان لا يزالُ مجتهداً في آخرتِهِ، فإذا تيقنَ نجاته فتر، وهذا أمرٌ مركوز في خاطره، ولذا منعه النبي ﷺ عن إخباره لأن الاكتفاءَ بالفرائض والافترارَ عن الفضائل نقيصةٌ لهم وحِرمان عن الطبقات العُلى، فأحب أن لا يتكلوا ويجتهدوا في معالي الأمور، لأن الله تعالى يحب معالي الهمم»[٥].

وقال عمر رضي الله عنه: «لا تصغرنّ همتك فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته»[٦].

وقال الإمام مالك: «عليك بمعالي الأمور وكرائمها، واتقِ رذائلها وما سفَّ منها؛ فإنَّ الله تعالى يحبُّ معالي الأمور، ويكره سفسافها»[٧].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا تقول العامة: قيمة كل امرئ ما يحسن، والعارفون يقولون: قيمة كل امرئ ما يطلب، وفي الاسرائيليات يقول: إني لا أنظر إلى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله.. (٢٧٩٠).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ١١١(١٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٤٤).

(٣) صحيح ابن حبان ٣/ ١٧٢ (٨٨٩)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار (٢٨٥٦)، ومسلم، كتاب الأيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (٣٠)

(٥) فيض القدير ١/ ٣٢٩.

(٦) محاضرات الأدباء ١/ ٤٤٥.

(٧) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/ ٦٥.

كلام الحكيم!! وإنما أنظر إلى همته»(١)، يريد همته ومطلبه وقصده.

قال الجنيد: «عليكم بحفظ الهمة فإن الهمة مقدمة الأشياء»(٢).

وقال ممشاء الدنيوري: «الهمة مقدمة لأشياء؛ فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراء ذلك من الأعمال والأحوال»(٣).

وكان أبو علي بن الكاتب يقول: «الهمة مقدَّمة في الأشياء، فمن صحَّح همته بالصدق أتت توابعها على الصحة والصدق، فإن الفروع تتبع الأصول، ومن أهمل همته أتت عليه توابعها مهملة، والمهمل من الأفعال والأحوال لا يصلح لبساط الحق»(٤).

وقال عبيد بن زياد: كان لي خال يقول لي: «يا زياد هم فإن الهمة نصف المروءة»(٥).

يقول ابن الجوزي: «من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء»(٦).

قال ابن القيم: «لا بد للسالك من همة تُسيِّره وتُرقِّيه وعلمٍ يبصِّره ويهديه»(٧).

فصاحب الهمة العالية يُعتمد عليه، وتُناط به الأمور الصعبة وتُوكل إليه، وهذا أمر مشاهد معروف، فإن المديرين والرؤساء عادة يطمحون للعمل مع صاحب الهمة العالية ويستعدون للتضحية معه حتى ولو كلفهم ذلك الكثير. وقد قيل: «ذو الهمة وإن

---

(١) النبوات ص٩٠.
(٢) حلية الأولياء بسنده ١٠/ ٢٦٨.
(٣) حلية الأولياء عن أبيه عنه ١٠/ ٣٥٣.
(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠.
(٥) روضة العقلاء ص ٢٥٣.
(٦) صيد الخاطر ص ٢٨.
(٧) الدرر الكامنة لابن حجر ٤/ ٢١، وعزاه لابن القيم ولم أقف عليه في كتب ابن القيم.

حط نفسه تأبى إلا العلو، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً»[١].

ثالثاً: أهمية علو الهمة في حياة الدعاة:

لا بد أن تكون نفس الداعية إلى الله نفس سامية في طلب مرادها، تطلب الأكمل والأفضل، فيكون همه رضا الله تعالى والفوز بالجنة[٢].

ومن كانت هذه حاله من الدعاة، زهد في الدنيا وشهواتها، واستصغر ما دون النهاية من معالي الأمور، وترفع عن الدنايا، وتوجه لإصلاح نفسه أولاً، وانتقلت صفته هذه إلى نفوس سامعيه، ولا يقر له قرار حتى ينال مراده، ويجد في طلبه حتى ينال بغيته، ويتجاوز العقبات حتى يحقق هدفه، كما كان النبي ﷺ طيلة سنوات دعوته، حاملاً سلاحه، مجاهداً في سبيل الله، مجتهداً في العبادة، حتى آخر أيام حياته[٣].

فلا بد للداعية كي يصل إلى مبتغاة أن يكون عالي الهمة فيأخذ نفسه بالمجاهدة والصبر على ذلك، فالدعوة تحتاج إلى جهاد دائم وصبر، ليتمحص المسلم ويتجرد من الهوى والشهوة، فالصبر جهاد، والجهاد فريضة، والصبر واحد من ألوان هذا الجهاد[٤].

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فقد جعل الله تعالى الإمامة وهداية الناس جزاء للصبر على مشاق الطاعات، ومقاساة الشدائد في نصرة الدين[٥].

والهمة العالية والعزيمة القوية لها أثر واضح في سلوك الداعية، فتعزز فيه

---

(١) ينظر: محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني١/ ٤٤٥.

(٢) مقاصد المكلفين ص ٣٦٥ بتصرف.

(٣) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ١٠٨ بتصرف.

(٤) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٢٦٦ بتصرف.

(٥) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٧/ ٨٧.

الجرأة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دون خوف أو مجاملة لأحد، والصبر على الأذى واحتمال المشاق في ذات الله، مع المحافظة على الشعائر التعبدية، وقوة الصلة بالله(١).

والداعية إذا أوتي علو الهمة رسخت قدمه في طريق الدعوة، واستطاع التأثير على غيره بصورة قوية، وأما إذا دنت فيتخلى عن منهجه ودعوته لأي عارض كان، فالاستقامة على طريق الدعوة لها تكاليف وتحتاج إلى همة عالية، تقود صاحبها للتخلي عن داعي شهواته والالتزام بما يأمره الله به، وذلك يشق على أصحاب الإرادات الضعيفة، والشخصيات المهزوزة، ومثل هذا النوع - أي ضعيف الشخصية - يكون غالبا منحط الهمة، سرعان ما يسيطر عليه غيره، ويوجهه، وربما استغل البعض هذا الجانب لديه ليحقق من خلاله مصالحه وأهواءه الشخصية(٢).

فيا أيها الداعية: «كن رجلاً رجله في الثرى وهمه في الثريا، وما افترقت الناس إلا في الهمم، من علت همته علت رتبته، ولا يكون أحدٌ إلا فيما رضيت له همته»(٣).

فعلى الداعية أن يكون عليَّ الهمة في كل أموره، فيكون طموحه عالٍ جدّاً، فلا يطلب ولا ينظر إلا إلى معالي الأمور، فتعلو همته في عبوديته لله تعالى، وفي طلبه للعلم، وفي الدّعوة إلى الله تعالى، وفي علاقاته بمن حوله.

◆ رابعاً: أسباب دنو الهمة:

يمكن إجمال أسباب دنو الهمة في النقاط التالية:

١- حب الدنيا وكراهية الموت، فهما رأس كل خطيئة، وهو أصل التثاقل إلى

(١) توجيهات نبوية على الطريق د. السيد محمد نوح ص ٨- ٩بتصرف.
(٢) الحور بعد الكور، د. محمد بن عبدالله الدويش ص ٤٥ بتصرف.
(٣) ينظر: الهمة طريق القمة لمحمد بن حسن الشريف ص٢٧ نقلا عن نشر المثاني ٢/ ٢٢.

الأرض، والانغماس في الشهوات والتشاغل بها عن المهمات، وهما يورثان طول الأمل، والقعود عن المكارم خشية المخاطر.

٢- الكسل والخمول، فصاحب الكسل والخمول تراه دائماً في ذيل الركب راضياً بأقبح الأعمال وأحقر الوظائف لقلة همته.

٣- التسويف والتمني، فالتمني بحر لا ساحل له، يدمن ركوبه المفاليس.

٤- مصاحبة أصحاب الهمم الدنيئة.

٥- عدم إعطاء كل حق حقه، فتجد الغلو في جانب من جوانب الحياة على الآخرى، كأن يغلب جانب الأسرة على جانب الدعوة والعمل الخيري، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

خامساً: أسباب معينة على علو الهمة الدعوية:

هناك أسباب مهمة معينة على علو الهمة من أهمها:

١- معرفة الأجر الكبير على الدعوة إلى الله تعالى:

فالآيات والأحاديث كثيرة جدّاً في فضل الدعوة وما أعده الله تعالى للدعاة من الأجر الكبير سواء اهتدى الناس أو لم يهتدوا.

٢- العلم والبصيرة:

فالعلم يرتقي بالهمة، ويرفع طالبه عن الحضيض ويصفي النية ويورث الفقه بمراتب الأعمال؛ فيتقي فضول المباحات من الكلام والمنام والنظر والطعام وينشغل بما هو أعلى منها، ويعرف خير الخيرين، وأولى الأعمال وأفضلها وأهمها وأقربها.

٣- إرادة الآخرة:

بجعل الهم هما واحداً.. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩].

وقال ﷺ: (من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة)(١).

٤- كثرة ذكر الموت:

فإنه الباعث الحثيث على إحسان العمل، والمسارعة إلى الطاعات، والأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون: ١٠].

٥- صحبة أولي الهمم ومطالعة أخبارهم:

ومن ذلك قراءة سير الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله، وسيرة النبي ﷺ وأصحابه الكرام وتابعيهم، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين، كما قال تعالى بعد ذكر عدد من الأنبياء: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٦- المجاهدة والمصابرة:

وهو الصبر على النفس وسياستها وتعويدها بلوغ الغايات وأعالي المقامات وعدم الرضا بالدون، وكلما جاهد الإنسان نفسه في بلوغ القمم بلغها سواء في أمور الدنيا أو الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

---

(١) جامع الترمذي صفة القيامة والرائق والورع باب (٣٠) (٢٤٦٥)، وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا (٤٠١٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١٠).

القيمة الثامنة

الورع

الورع من القيم الأساسية للدعاة ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية(١):

- **أولاً: مفهوم الورع:**

الورع لغةً:

الورع: التَّقْوَى والتَّحَرُّج والكَفُّ عن المحارِم. من وَرِعَ الرَّجُلُ -كوَرِثَ- والورِع، بكسر الرَّاءِ: الرجلُ التَّقِي المتَحَرِّج»(٢).

الورع اصطلاحاً:

الورع: «هو اجتناب الشبهات؛ خوفاً من الوقوع في المحرمات»(٣).

وقيل: «ترك ما لا بأس به؛ حذراً مما به البأس»(٤).

وقيل: «الكفُّ عن المحارم والتَّحرُّج منها، والكفُّ عن القبيح»(٥).

وقيل: «ترك ما يريبك، ونفي ما يعيبك، والأخذ بالأوثق، وحمل النّفس على الأشقِّ.

وقيل: النَّظر في المطعم واللِّباس، وترك ما به بأس.

---

(١) ينظر: كتاب الورع لابن أبي الدنيا، وكتاب الورع للمروزي، وشرح حدث «الحلال بين والحرام بين..» في جامع العلوم والحكم لابن رجب، والورع - محمد الدويش- مادة مفرغة منشورة على اسلام ويب.

(٢) انظر: لسان العرب ٨/ ٣٨٨، وتاج العروس ٢٢/ ٣١٣.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ٢٥٢.

(٤) الفروق للقرافي ٤/ ٢١٠.

(٥) لسان العرب ٨/ ٣٨٨.

وقيل: تجنّب الشّبهات، ومراقبة الخطرات»[١].

فالورع باختصار: هو ترك ما تشك فيه وأخذ ما لا تشك فيه.

◆ ثانياً: الورع في السنة النبوية:

الورع مصطلح نبوي شرعي، فقد ثبت عن النبي ﷺ أن قال لأبي هريرة رضي الله عنه: (كن ورعاً تكن أعبد الناس)[٢].

وقال ﷺ: (وخير دينكم الورع)[٣].

وجاء معنى الورع في أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ، قال ابن القيم رحمه الله في المدارج: «وقد جمع النبي ﷺ الورع كله في كلمة واحدة فقال: **(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)**[٤]»[٥].

وقال رسول الله ﷺ: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)[٦].

فهذا يعم الترك لما لا يعني من الكلام والنظر والاستماع والبطش والمشي والفكر وسائر الحركات الظاهرة والباطنة.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص٣٣٧.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى (٤٢١٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٨٠).

(٣) مسند البزار ٧/ ٣٧١ (٢٩٦٩)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ١٧١ (٣١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢١٤).

(٤) مسند أحمد ٣/ ١٧٣٧، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن بشواهده، والترمذي كتاب الزهد، باب ١١ برقم (٢٣١٨) واللفظ له. وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٦)، وصححه الألباني صحيح جامع الترمذي (١٨٨٦).

(٥) مدارج السالكين ٢/ ٣٢.

(٦) جامع الترمذي أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب.. برقم (٢٥١٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح. والحاكم ٢/ ١٥ (٢١٦٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع[(١)] فيه، ألا وإن لكل ملكٍ حمى، ألا وإن حمى الله محارمه...)**[(٢)].

وهذه الأحاديث تمثل قاعدة الورع عما يشتبه منه، وتبين كذلك مفهوم الورع.

◆ ثالثاً: أهمية الورع في حياة الدعاة:

الورع قيمة عالية جدّاً ومرتبة عظيمة لا بد وأن يلتزمها الداعية، وهو يحتاج إليها في زمن مليء بالشبهات والشهوات والنوازل الحادثة؛ لكي يستقيم دينه وقلبه ويستطيع القيام بواجب الدعوة؛ فعليه أن يكون ورعاً حريصاً متحرياً للحلال في كل أمر يقوم به، مبتعدا عن أي شبهة تؤدي به إلى الحرام، متورعا عن بعض الحلال فمخافة الوقوع في حرامٍ.

فيكون ورعاً في نيته ونّظره وسّمعه ولسانه وبطشه وماله وشهوته وتعاملاته كلها، فلا يقرب أمراً يتحرج قلبه منه أو يجد منه ريبه.

فالدعاة في حاجة إلى الورع حتى يكونوا أنموذجاً يقتدى به بأفعالهم قبل أقوالهم، وتربية الدعاة على الورع هدفٌ من أهداف الداعية في الارتقاء بنفسه، وقيمةٌ علياَ من قيمه الدعوية.

فالدعوة تعاني كثيراً من الأمراض؛ مرجعها هو: ضعف الورع في النية والنظر والسمع والقول والحركة، وعدم التحرج من أمور مشتبهات تؤدي للحرام أو هي بوابة الحرام.

---

(١) الرَّتْعُ الأكل والشرب رَغَداً في الرِّيف. ينظر: لسان العرب ٣/ ١٥٧٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢).

◆ رابعاً: صور من الورع في حياة الدعاة:

١- ينبغي أن يتورع الدعاة في كلامهم ومنطقهم، فلا يتحدث الداعية إلا بما يعلم، ولا يقول إلا ما يحسن، ولا يدعو إلا بعلم، وأن يعلم أنه يوقع عن رب العالمين، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

٢- حين يريد الداعية أن يقول كلمة حق، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر؛ فعليه أن يسأل نفسه: هل هذا مما يرضاه الله ورسوله ﷺ؟ هل هذا من الحق الذي لا مرية فيه؟ أم أن هناك مداخل أخرى، وهناك هوى للنفس؟

٣- الأصل أن أعراض الناس محفوظة، فلا يجوز الحديث عن أعراض الناس ولا ذمهم ولا غيبتهم، وحين تأتي حاجة تبيح ذلك فإنها ينبغي أن تكون محصورة ضمن هذه الدائرة، فأحياناً يغفل الداعية عن هذا الأمر فيتوسع في مثل هذه الميادين، وتتحول الحاجة إلى قاعدة عامة، وينسى أن أعراض المسلمين أعراض محفوظة لها حرمتها.

فالتطلع إلى معرفة دقائق أمور الناس وخفاياهم أمر محرم، وكذلك التطلع إلى دواخل الناس، فقد أمر ﷺ بأن يعامل الناس على ظاهرهم.

٤- ينبغي أن يراجع الدعاة أعمالهم الدعوية، وجهودهم ووسائلهم وبرامجهم، هل هي تنضبط بالضوابط الشرعية أم لا؟

فالواجب أن لا يفارق الدعاة الورع، وأن يستشعروا أن الدعوة عبادة يتقربون بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيجب أن تنضبط بالضوابط الشرعية.

ويجب أن يفرق بين صورتين، وبين أسلوبين في الوسائل والأساليب في المواقف الدعوية:

الأول: اتخاذ القرار ثم البحث والتأصيل له شرعيًّا، وهذا لا يجوز.

الثاني: البحث عن الحق بدليله ثم اتخاذ القرار بناء عليه، وهذا هو الواجب.

فيجب أن يكون القائد للدعوة هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، في أمور الدعوة صغيرها وكبيرها عامها أو خاصها، وأن يتجرد الدعاة عن الهوى، وإلا فهذا الباب فيه مداخل كثيرة جدًّا لا يمكن أن يتخلص منها الإنسان إلا بالورع والتقوى والصلاح والتجرد، نسأل الله الهداية والثبات والصلاح.

٥- بعض الدعاة قد يفهم الورع بطريقة غير شرعية فيقع في المحظور، وهذا الفهم نابع عن مدخل من مداخل الشيطان لنفسه، ومن تلك الصور: من يقعد ويسكت ويتخاذل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويرى أن هذا ورع، أي: يزعم أنه يتورع عن الحديث للناس، والتصدر لهم، ويتورع عن نشر علمٍ آتاه الله إياه، ويتورع عن بيان علم قد علمه الله ﷻ إياه، ومن لا يتقدم للإمامة في الصلاة مثلاً تورعاً من ثناء الناس عليه بحسن صوته وحفظه وإتقانه لقراءة القرآن أو غيرها من العلل.

وهذا وغيره من الورع الكاذب الذي يتخذ منه بعض الدعاة مفرا للاعتذار، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]. أي: ومن هؤلاء المنافقين من يستأذن في التخلف، ويعتذر بعذر آخر عجيب، فيقول: ﴿ٱئْذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ في الخروج، فإني إذا خرجت، فرأيت نساء بني الأصفر لا أصبر عنهن، كما

قال ذلك «الجد بن قيس»[١] ومقصوده -قبحه الله- الرياء والنفاق بأن مقصودي مقصود حسن، فإن في خروجي فتنة وتعرضا للشر، وفي عدم خروجي عافية وكفا عن الشر.

قال الله تعالى مبينا كذب هذا القول: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده، فإن في التخلف مفسدة كبرى وفتنة عظمى محققة، وهي معصية الله ومعصية رسوله، والتجرؤ على الإثم الكبير، والوزر العظيم، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهمة، مع أن هذا القائل قصده التخلف لا غير»[٢].

ومنهم من يتورع عن الدعوة بحجة أنه لا يعمل بما يدعو إليه، قال الحسن البصري لمطِّرف بن عبد الله رحمهما الله: عظ أصحابك، فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل، قال: «يرحمك الله! وأينا يفعل ما يقول؟! ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف، ولم ينه عن منكر»[٣].

٦- مراعاة حال النفس في الورع، فالورع درجات يرتقي فيها الإنسان بصورة عامة والداعية بصورة خاصة، وهذا الأمر مهم أن يعيه الدعاة عند النظر في بعض الروايات عن السلف في ورعهم، حتى لا يقعوا في اللغط، والذي له أحياناً آثار سلبية على نفوسهم وواقعهم الدعوي، فالدعاة أحوج إلى الورع الواجب، وأحوج إلى اجتناب المحرمات الظاهرة الواضحة، وأحوج إلى إصلاح القلوب، فإذا انشغل الدعاة بالدقائق قد يجلب ذلك أمرين: الأول: شعور الدعاة بالزهو واحتقار الآخرين، والثاني: اشغال الداعية عما هو أولى به من إصلاح القلب، ومن الورع الواجب.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٤/ ٢٨٧ وغيره، انظر الدر المنثور ٧/ ٣٩٤-٣٩٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٣٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٦٧.

◆ خامساً: قواعد في الورع[١]:

من أهم قواعد وضوابط الورع:

القاعدة الأولى: الورع منه واجب ومنه مستحب:

وهذا لرفع التوهم أن الورع للخاصة والصالحين، وليس واجباً على آحاد الناس.

يقول شيخ الإسلام: «فأما الورع المشروع **المستحب** الذي بعث الله به محمداً ﷺ، فهو اتقاء ما يخاف أن يكون سبباً للذم والعذاب عند عدم المعارض الراجح، ويدخل في ذلك أداء الواجبات والمشتبهات التي تشبه الواجب، وترك المحرمات والمشتبهات التي تشبه الحرام، وإن أدخلت فيه المكروهات قلت نخاف أن تكون سبباً للنقص والعذاب.

وأما الورع الواجب، فهو اتقاء ما يكون سبباً للذم والعذاب، وهو فعل الواجب وترك المحرم، والفرق بينهما -أي بين الورع الواجب والمستحب- فيما اشتبه أمن الواجب هو أم ليس منه، وما اشتبه تحريمه أمن المحرم أم ليس منه»[٢].

القاعدة الثانية: أن ما لا ريب في حله ليس فيه ورع، بل الورع فيه من التنطع:

قال شيخ الإسلام: «فأما ما لا ريب في حله فليس تركه من الورع، وما لا ريب في سقوطه فليس فعله من الورع»[٣].

القاعدة الثالثة: لا ورع عند وجود المعارض الراجح:

قال شيخ الإسلام: «وقولي عند عدم المعارض الراجح؛ فإنه قد لا يترك الحرام البين أو المشتبه إلا عند ترك ما هو حسنة -موقعها في الشريعة- أعظم من ترك تلك السيئة.

---

(١) جمع هذه القواعد ورتبها وعنونها د. محمد الدويش في شريط الورع وذلك من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن رجب رحمهما الله، وهذا تلخيصها.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٣٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٣٨.

مثل من يترك الائتمام بالإمام الفاسق؛ فيترك الجمعة والجماعة والحج والغزو.

وكذلك قد لا يؤدي الواجب البين أو المشتبه إلا بفعل سيئة أعظم إثماً من تركه، مثل من لا يمكنه أداء الواجبات من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لذوي السلطان إلا بقتالٍ فيه من الفساد أعظم من فساد ظُلْمِه»[(١)].

القاعدة الرابعة: الورع يكون في الفعل كما هو في الترك:

يقول شيخ الإسلام: «لكن يقع الغلط في الورع من ثلاث جهات، إحداها: اعتقاد كثير من الناس أنه من باب الترك، فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب، وهذا يبتلى به كثير من المتدينين المتورعة، ترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة، وعن الدرهم فيه شبهة؛ لكونه من مال ظالم، أو معاملة فاسدة، ويتورع عن الركون إلى الظلمة من أهل البدع في الدين، وذوي الفجور في الدنيا، ومع هذا يترك أموراً واجبة عليه، إما عيناً وإما كفاية وقد تعينت عليه؛ من صلة رحم، وحق جار ومسكين، وصاحب ويتيم وابن سبيل، وحق مسلمٍ، وذي سلطان وذي علم، وعن أمر بمعروف ونهي عن منكر، وعن الجهاد في سبيل الله، إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم مما وجب عليه، أو يفعل ذلك لا على وجه العبادة لله تعالى، بل من جهة التكليف ونحو ذلك»[(٢)].

القاعدة الخامسة: أن الورع إنما هو بأدلة الكتاب والسنة:

قال شيخ الإسلام: «ينبغي أن يكون اعتقاد الوجوب والتحريم بأدلة الكتاب والسنة، وبالعلم لا بالهوى، وإلا فكثير من الناس تنفر نفسه عن أشياء لعادة ونحوها،

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٣٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٣٩.

فيكون ذلك مما يقوي تحريمها واشتباهها عنده، ويكون بعضهم في أوهام وظنون كاذبة، فتكون تلك الظنون مبناها على الورع الفاسد»(١).

ومنه الحديث المشهور عن الثلاثة الذين جاءوا فتورعوا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: **(أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)**(٢).

القاعدة السادسة: لا ورع إلا بالإخلاص:

«فلا بد من الإخلاص، لأنه قد تأتي الإنسان شوائب واعتبارات، فقد يكون له مقام واعتبار، ويرى أنه مما لا يليق بأمثاله أن يفعله أمام الناس، فيكون دافعه لذلك مراءاة الناس، وقد يكون دافعه حظ النفس أو هوى النفس أو غيرها من الأمور، فالورع مثله مثل سائر الأعمال الصالحة التي يتقرب بها الإنسان عند الله عز وجل لا بد فيها من الإخلاص، فاعلم أن الورع لا ينفع صاحبه فيكون له ثواب إلا بفعل المأمول به من الإخلاص»(٣).

القاعدة السابعة: التدقيق في الورع للخاصة:

قال الحافظ ابن رجب: «وهاهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها، وتشابهت أعماله في التقوى والورع.

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٤٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٤٠١).

(٣) الورع – محمد الدويش – مادة مفرغة منشورة على اسلام ويب.

فأما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة، ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبه، فإنه لا يحتمل له ذلك، بل ينكر عليه. وهذا حال بعض المتكلفين المرائين يسلك هذا المسلك.

فقد سأل رجل بشر بن الحارث عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها، فقال: إن كان بر أمه في كل شيء، ولم يبق من برها إلا طلاق زوجته فليفعل، وإن كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك إلى أمه فيضربها فلا يفعل.

وجاء رجل من أهل العراق إلى ابن عمر وقت الحج يسأله عن بعوضة قتلها، فهل عليه دم أم لا؟! فقال ابن عمر: سبحان الله، يا أهل العراق تقتلون ابن رسول الله –أي الحسين بن علي– وتسألون عن دم البعوض!»[(١)].

القيمة التاسعة

النظافة وحسن المظهر

يمكن بيان قيمة النظافة وحسن المظهر وأهميتها في حياة الداعية في النقاط التالية:

◈ أولاً: أهمية قيمة النظافة وحسن المظهر في الإسلام:

«قيمة النظافة وحسن المظهر من القيم الإسلامية الراقية، فهي جزء من الإيمان، الأمر الذي جعلها تحظى باهتمام بالغ لا يدانيه اهتمام من الشرائع الأخرى، فليست مجرد سلوك مرغوب فيه أو متعارف عليه اجتماعيّاً يحظى صاحبه بالقبول الاجتماعي فقط، بل جعلها الإسلام قضية إيمانية تتصل بالعقيدة، يثاب فاعلها ويأثم تاركها في بعض مظاهرها»[(٢)].

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٨٣.

(٢) النظافة من منظور التربية الإسلامية، محمد سلامة الغنيمي، مقال منشور على شبكة الألوكة.

ويمكن بيان مظاهرها في النقاط التالية:

١- قد أمر الله بأخذ الزينة عند الذهاب للمساجد، واستنكر على من يحرم الزينة والتزين من غير إسراف، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

٢- النظافة الشخصية جعلها الله سمة من سمات الرجال، وهذه السمة جعلتهم ينالون شرف محبة الله تعالى لهم، قال تعالى: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] وقرن الطهارة بالتوبة فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٣- وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أمراً مباشراً بها في بداية التكليف بالدعوة فقال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر: ٤]. فالطهارة لا بد أن تكون هي حالة المتلقي عن الله، والبلاغ عن الله، الطهارة الكاملة الحسية والمعنوية.

٤- بيَّن النبي ﷺ أن الصلاة عمود الدين لا تقبل بغير طهارة، **(لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ)**[(١)].

٥- جعل النبي ﷺ الطهارة نصف الإيمان، حيث قال: **(الطهور شطر الإيمان)**[(٢)]، «معناه أن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان.. وقيل المراد بالإيمان هنا الصلاة، والطهارة شرط في صحة الصلاة فصارت كالشطر وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفا حقيقيا وهذا القول أقرب الأقوال»[(٣)].

(١) صحيح مسلم، باب وجوب الطهارة للصلاة (٢٢٤).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (٢٢٣).
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٣/ ١٠١.

٦- والله تعالى يحب جميل يحب الجمال، عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)** قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: **(إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر**[(١)] **الحق، وغمط**[(٢)] **الناس)**[(٣)].

٧- والله تعالى ينعم على العباد بنعم ويريدهم أن يظهروها على أنفسهم، وأن يظهروا للناس بالمظهر الحسن، قال ﷺ: **(إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)**[(٤)]، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «والذي يجتمع من الأدلة أن من قصد بالملبوس الحسن إظهار نعمة الله عليه، مستحضراً لها، شاكراً عليها، غير محتقر لمن ليس له مثله، لا يضره ما لبس من المباحات، ولو كان في غاية النفاسة»[(٥)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فالله سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده؛ فإنه من الجمال الذي يحبه، فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها، وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة يبغض القبيح؛ من الأقوال والأفعال والثياب والهيأة، فيبغض القبيح وأهله، ويحب الجمال وأهله»[(٦)].

---

(١) **البَطَر**: الطُّغيان عِنْدَ النّعْمة وطُولِ الْغِنَى. وَقِيلَ هُوَ أَنْ يتَجبَّر عِنْدَ الْحَقِّ فَلاَ يَرَاهُ حَقّاً. وَقِيلَ هُوَ أَنْ يتكبَّر عَنِ الْحَقِّ فَلَا يقبلُه. ينظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ١٣٦.

(٢) **الغَمْط**: الاسْتِهانة والاسْتْحْقار. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٨٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩١).

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤/ ١٥٠ (٧١٨٨)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في الشعب ٦/ ٣١٥ (٤٢٥١)، وجامع الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٢٨١٩) وقال: هذا حديث حسن.

(٥) فتح الباري ١٠/ ٢٥٩.

(٦) الفوائد ص١٨٤.

٨- بلغ من عناية الإسلام بالنظافة وحسن المظهر أن جعل نظافة الطرقات والأماكن العامة من شعب الإيمان التي يؤجر عليها الإنسان، فما بالك بالنظافة الشخصية، والمظهر الحسن للشخص، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها: قول لا إله إلا الله وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق)**[١]. وقال رسول الله ﷺ: **(ويميط الأذى عن الطريق صدقة)**[٢].

فالإسلام يربي المجتمع بأفراده وبيئته أن يكون مجتمعاً نظيفاً يظهر بالمظهر الحسن.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا مدى تقدير الإسلام للنظافة وحسن المظهر، لأنها من العوامل الأساسية في الحفاظ على الصحة، والوقاية مما يضر البدن والبيئة.

◈ ثانياً: أهمية قيمة النظافة وحسن المظهر في حياة الدعاة[٣]:

تكتسب هيئة الداعية ومظهره العام أهمية واضحة بين قيم الداعية، بيانها في أمور:

١- النظافة وحسن المظهر رسالة تعريفية بالإسلام من الداعية إلى كل من يراه، فهناك أغلبية من المجتمع تنظر إلى مظهر الداعية وهيئته، ويتأثرون بها، ويحكمون على دعوته من خلال المظهر العام.

٢- نظافة الداعية وحُسن سمته ومظهره وذوقه الرفيع جزء أساس من واجبه في الدعوة، وقد رأينا في الناس مَنْ يَعْرض بضاعته الجيدة في مكان ليس حَسَناً، لا تَرُوجُ فيه بضاعته، على جودتها؛ لأنه أساء إليها بوضعها في المكان غير المناسب، فعن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان(٣٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه (٢٩٨٩). ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٩).

(٣) بعض أفكار هذه النقطة من مقال بعنوان: الداعية وحسن المظهر- منشور على الشبكة.

عبدالله بن عباس رَضِوَلِللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة)**[١].

٣- إن مظهر الداعية هو أول ما يواجه المدعوين، فأول ما ينطبع في الذهن شكل الداعية، حيث إن هيئة الداعية وجمال مظهره تجذب المدعوين؛ لأن النفوس جبلت على حب الجمال والمظهر الحسن. والداعية إذا كان رث الثياب قبيح الصورة فإن ذلك مما ينفر الناس منه، ولا يكون لكلامه أثر.

٤- إن كثيراً من المدعوين عندما يحدثهم الداعية عن مخالفات يقعون فيها يفتشون مباشرة في مظهره، وما يمكن أن يكون منه لأمر من أوامر الشرع، فينظرون مثلاً إلى لباسه ومظهره العام، ومدى اتباعه لهدي رسول الله ﷺ، فصدق الداعية يظهر بوضوح في التزامه التام بتعاليم الإسلام في المظهر العام؛ والتزامه بمظهر حسن أدعى إلى قبول قوله.

٥- «إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

٦- إن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب، وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٤٣٢ (٢٦٩٨)، وقال شعيب الأرناؤوط حسن لغيره، والبخاري في الأدب المفرد (٧٩١)، وسنن أبي داوود في كتاب الأدب، باب الوقار (٤٧٧٨) وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٩١).

ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين»[١].

٧- ما أجمل أن يلتزم الداعية بالزي الذي يتميز به الدعاة عن غيرهم؛ فإن أثر ذلك فاعل ومشاهد، وهذا ما جاء الشرع بطلبه من تحسين الهيئة أو الشكل والنظافة، وسائر الأفعال التي تؤدي إلى التآلف بين الناس، ولا تنفر بعضهم عن بعض.

٨- إحسان المظهر العام، في الملبس والشعر والرائحة والنظافة، عندما يحتسبها الداعية إلى الله، ويريد بها رفعة هذا الدين، وتمثيل الإسلام التمثيل التام، وإغاظة الأعداء، فإذا قصد هذا القصد فهو مثاب عند الله، فالوسائل لها أحكام المقاصد، فكما أن القصد عال شريف، وهو الدعوة إلى الله، فكذلك الوسيلة هنا ترتفع لتلحق بالقصد[٢].

٩- النظافة وحسن المظهر تفيد الداعية نشاطاً وهمة، وتزيل ما يعرض لجسده من الفتور والاسترخاء.

١٠- عدم النظافة وسوء المظهر مجلبة الأمراض والأدواء الكثيرة، كما هو ثابت في الطب؛ ولذلك نرى الأطباء ورجال الحكومات الحضرية، يشددون في أيام الأوبئة والأمراض المعدية، -بحسب سنة الله تعالى في الأسباب- في الأمر بالمبالغة في النظافة، وجدير بالمسلمين أن يكونوا أصلح الناس أجساداً، وأقلهم أدواءً وأمراضاً؛ لأن دينهم مبني على نظافة الأبدان والثياب والأمكنة؛ فإزالة ما يولد الأمراض من فروض دينهم.

١١- من كان نظيف البدن والثياب كان أهلاً لحضور كل اجتماع، وللقاء فضلاء الناس وشرفائهم، ويتبع ذلك أنه يرى نفسه أهلاً لكل كرامة يكرم بها الناس، وأما من يعتاد الوسخ والقذارة فإنه يكون محتقراً عند كرام الناس، لا يعدونه أهلاً لأن يلقاهم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية (١/ ٩٢-٩٣).

(٢) مظهر الداعية، موقع هدي الإسلام.

ويحضر مجالسهم، ويشعر هو في نفسه بالضعة والهوان.

◈ ثالثاً: النظافة وحسن المنظر من صور قوة الدعاة:

عناية الداعية بالنظافة والتجمل والصحة والتطهر جزء من العناية بقوة المسلمين، إن المطلوب أجسامٌ تجري في عروقها دماء العافية، وتمتلئ أبدان أصحابها قوة وفتوة، فالأجسام المهزولة لا تطيق حملاً، والأيدي غير المتوضئة قذرة، لا تقدم خيراً، ورسالة الإسلام أوسع في أهدافها، وأصلب في كيانها من أن تحيا في أمة مريضة موبوءة عاجزة، قال ﷺ: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير)**[١]. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بالقوة هنا: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك»[٢].

أي: «أن المؤمن القوي في إيمانه، **والقوي في بدنه** وعمله: خيرٌ من المؤمن الضعيف في إيمانه أو الضعيف في بدنه وعمله؛ لأن المؤمن القوي يُنتج ويَعمل للمسلمين وينتفع المسلمون بقوته البدنية وبقوته الإيمانية وبقوته العملية، ينتفعون من ذلك نفعاً عظيماً في الجهاد في سبيل الله، وفي تحقيق مصالح المسلمين، وفي الدفاع عن الإسلام والمسلمين وإذلال الأعداء والوقوف في وجوههم، وهذا ما لا يملكه المؤمن الضعيف، فالمؤمن القوي أكثر خيراً من المؤمن الضعيف، لنفسه ولدينه ولإخوانه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٢٦٦٤).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ٢١٥.

المسلمين، فهذا فيه الحث على القوة، ودين الإسلام هو دين القوة، ودين العزة، ودين الرفعة، دائماً وأبداً يُطلب من المسلمين القوة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]»[١].

فالمؤمن يحتاج لقوة جسمه كي يقوم بالتكاليف الشرعية وعمارة الأرض، ولكي تحوز قوة الجسم لابد من أمرين: **الأول:** إحسان التعامل مع الجسم، وتوفير الاحتياجات اللازمة لقوته دونما إفراط أو تفريط. **والثاني:** صيانة الجسم والإسراع بمعالجة ومداواة أي خلل يصيبه، ويحسن في هذا العصر الذي نحياه -مع كثرة الملوثات التي تُحيط بالإنسان- أن يُجري كشفاً دوريّاً عامّاً على بدنه، ليكتشف أي علة أو مرض قبل أن يتمكن من الجسم والأعضاء والمسارعة بعلاجه.

◈ رابعاً: نماذج في العناية بالنظافة وحسن المنظر:

أعظم نموذج في النظافة وحسن المنظر إمام الدعاة ﷺ، فقد كان أطيب الناس ريحا وأبهاهم منظرا، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«ما مسست حريراً ولا ديباجاً[٢] ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحاً قط -أو عرفاً قط- أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ»**[٣].

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كان النبي ﷺ مربوعاً، وقد رأيته في حلة حمراء، ما رأيت شيئاً أحسن منه»[٤].

وكان هذا هدي السلف -رحمهم الله- من العناية بالنظافة وحسن المظهر، ومن

(١) المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان ٥/ ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) الثَّوب من الدِّيباج وغيرِه إذا كَانَ رقِيقاً حَسَنَ الصَّنْعة. ينظر: المخصص ١/ ٣٨٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٥٦١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه (٢٣٣٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الثوب الأحمر (٤٨٥٨).

ذلك، قال ابن مفلح: «روى الخلال في أخلاق الإمام أحمد عن إبراهيم قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى سمته وإلى هيئته، ثم يأخذون عنه.

وعن الأعمش قال: «كانوا يتعلمون من الفقيه كل شيء، حتى لباسه ونعليه»(١).

وقال الإمام الذهبي: «قال عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة: رأيت أبا حنيفة شيخا يفتي الناس بمسجد الكوفة، على رأسه قلنسوة سوداء طويلة، وعن النضر بن محمد، قال: كان أبو حنيفة جميل الوجه، سري الثوب، عطر الريح، وعن حماد بن أبي حنيفة، قال: كان أبي جميلا، تعلوه سمرة، حسن الهيئة، كثير التعطر، هيوبا»(٢).

وقال قتيبة: «كنا إذا دخلنا على مالك خرج إلينا مزيناً مكحلاً مطيباً، قد لبس من أحسن ثيابه، وتصدر الحلقة، ودعا بالمراوح، فأعطى لكل منا مروحة»(٣).

عن يحيى بن عبدالله بن بكير قال: «كان مالك إذا عرض عليه الموطأ تهيأ ولبس ثيابه وتاجه أو ساجه وعمامته، ثم أطرق فلا يتنخم ولا يبزق، ولا يعبث بشيء من لحيته حتى يفرغ من القراءة، إعظاماً لحديث رسول الله ﷺ»(٤).

قال الخزاعي: «كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، وقلنسوته، ومشط لحيته. فقيل له في ذلك. فقال: أوقر به حديث رسول الله ﷺ»(٥).

و«كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل، وتبخر، وتطيب، فإن

---

(١) الآداب الشريعة لابن مفلح ٢/ ١٤٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٩ وما بعدها باختصار.
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٤.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٣/ ٣٣.
(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٣/ ٤٣.

رفع أحد صوته في مجلسه زبره، وقال: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢]، فمن رفع صوته عند حديث رسول الله فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ»[١].

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانت أمي تعممني وتقول لي اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه»[٢].

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فالبس ثياب العلم. فألبستني ثياباً مشمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن»[٣].

وقال الشافعي: «من نظف ثوبه قل همه، ومن طاب ريحه زاد عقله»[٤].

وعن عبدالملك الميموني قال: «ما أعلم أني رأيت أحداً، أنظف ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوباً وأشده بياضاً من أحمد بن حنبل»[٥].

ويقول الإمام السيوطي: «ويستحب له إذا أراد حضور مجلس التحديث أن: يتطهر ويتطيب، ويسرح لحيته، ويجلس متمكنا بوقار»[٦].

وهذه النصوص كلها تبين أن حسن النظافة والمظهر أدب مع كلام الله وكلام

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٣/ ١١١

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك- القاضي عياض ١/ ٣١.

(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك- القاضي عياض ١/ ٣١.

(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٢٥٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٠٨.

(٦) تدريب الراوي ٢/ ٥٧١.

رسول الله والهدى الذي يحمله الداعية، لأن ذلك من هدي السلف الصالح المقتدى بهم، فلا بد أن يكون الوعاء الذي يقدم فيه الخير وعاء نظيفاً ومظهره جميلاً.

◈ خامساً: تنبيهات واستدراكات عن النظافة وحسن المظهر للدعاة:

هناك بعض الأمور في هذا الجانب لابد من التنبيه عليها من خلال النقاط التالية:

١- الدعاة إلى الله أولى الناس بامتثال واتباع هدي النبي ﷺ في هديه الظاهر وحسن المظهر، ومع هذا فإذا لم يكن باستطاعة الداعية فعل ذلك، فلا ينبغي له أن يكتم علمه ويتوقف عن الدعوة إلى الله؛ بل يجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى بعلم وبصيرة، وكم من داعية يعتبره كثير من الناس ليس أنيقاً، ولكنه أسر قلوبهم بعلمه ودعوته وحسن أخلاقه ومواعظه وهذا هو الأهم.

٢- المطلوب أن يكون الداعية متجملاً، متطيباً، ويكون مجلسه وسيعاً، يستقبل فيه الأخيار البررة، وأن يكون له مركب طيب، فإن هذا لا يعارض سنة الله ﷻ، ولا سنة رسوله ﷺ؛ وأن يكون له في كل حالةٍ ما يناسبها، وأن يظهر الخشية والخشوع والفقر أمام الله ﷻ.

٣- ينبغي أن يكون الاهتمام بالمظهر الحسن من غير إسراف ولا تكبر ولا لباس شهرة، وعلى الداعية ألا يتشاغل بالدنيا تشاغلاً يثنيه عن طريقه، أو يبعده عن مدعويه وترفعه عليهم.

٤- من الناس من يرى أن على الداعية أن يلبس لباس الضعفاء! وهذا ليس بصحيح، لأن الله ﷻ قد أحل الطيبات، ويؤكد هذا اهتمام النبي ﷺ بمظهره، وعنايته بذلك كما سبق.

٥- القول بأن الإسلام طلب من أهله أن يلبسوا المرقع والمقطع والمهلهل من

الثياب، وأن ذلك من الإسلام فهذا افتراء على الدين، وتشويه حقيقي لصورة الإسلام، وإلحاق النقيصة به، في حين أنه دين يدعو إلى الطهارة والنظافة، ويربط الإيمان بالذوق والجمال بلا تكلف ولا سرف ولا خيلاء.

◈ سادساً: نماذج من النظافة وحسن المظهر:

هناك بعض الأمور الأساسية على الداعية أن يعتني بها ليكون نظيفاً وحسن المظهر:

١ - **العناية بالشعر**، فأمر ﷺ بتهذيب الشعر فقال: **(من كان له شعر فليكرمه)**(١)، أي: يتعهده بالتسريح والترجيل والدهن، ولا يتركه حتى يتشعث لكن لا يبالغ(٢).

٢ - **العناية بالفم**، ومن ذلك أن النبي ﷺ حثنا أن نستاك، فقال: **(السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)**(٣)، وقد ثبت الأمر بالسواك في مواضع كثيرة منها، عند الوضوء، وعند القيام للصلاة، وعند التجمل للجمعة، وعند القيام من النوم، وعند قيام الليل، وعند دخول المنزل، وعند قراءة القرآن، وعند تغيير رائحة الفم، وللصائم، وعند الاحتضار(٤).

٣- **العناية بالثياب**، فقال رسول الله ﷺ، **(ما على أحدكم إن وجد أو ما على أحدكم إن وجدتم؛ أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته)**(٥).

وقد أمر ﷺ بلبس البيض من الثياب، وكانت أحب الثياب إليه، وقال: **(البسوا**

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب الترجل، باب في إصلاح الشعر (٤١٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٩٣).

(٢) فيض القدير ٦/ ٢٠٨.

(٣) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم، وأحمد ١/ ١٨٦ (٧) وقال شعيب الأرناؤوط حسن لغيره، وسنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب السواك (٢٨٩).

(٤) ينظر: المجموع للنووي ١/ ٢٦٩، نهاية المحتاج للرملي ١/ ١٦٢، حاشية ابن عابدين ١/ ٧٨، نيل الأوطار للشوكاني ١/ ٢٤، المغني لابن قدامة ١/ ٧٨، الفتوحات الربانية لابن علان ٣/ ٢٥٦، الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين ١/ ١٣٧.

(٥) سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب اللبس للجمعة (١٠٨٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٨٩).

الثياب البيض؛ فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم)(١).

٤- **نظافة الجسم**: وذلك بالحرص على سلامته من الأقذار والنجاسات، والمبادرة إلى إزالتها إذا أصيب الجسم بشيء منها، فقد نبه النبي ﷺ إلى ضرورة الاغتسال ولو مرة في الأسبوع بقوله: **(حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْماً يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ)**(٢)، وكذلك الحث على الوضوء وإسباغه، فقال ﷺ: **(ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟)** وذكر منها: **(إسباغ الوضوء على المكاره)**(٣).

٥- **التطيب**، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(حبب إلي من دنياكم: النساء والطيب)**(٤)، وعن أنس رضي الله عنه: أنه كان لا يرد الطيب، وزعم أن النبي ﷺ **(كان لا يرد الطيب)**(٥). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: **(من عرض عليه ريحان فلا يرده؛ فإنه خفيف المحمل، طيب الريح)**(٦).

٦- **تجنب الأكل من بعض الأطعمة التي تسبب الرائحة المزعجة**، لا سيما عند إرادة الاجتماع بالناس، وخاصة صلوات الجماعة والجمعة. ومن قبيل هذا: النهي عن أكل الثوم والبصل وما شابههما إذا أراد صلاة الجماعة، ومن ذلك قوله ﷺ: **(مَنْ**

---

(١) سنن أبي داوود كتاب اللباس باب البياض (٤٠٦٣)، سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، باب البياض من الثياب (٣٥٦٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٠٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم؟ (٨٩٧)، ومسلم، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة (٨٤٩).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره (٢٥١).

(٤) مسند أحمد ١٩/ ٣٠٧ (١٢٢٩٤) وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن.

(٥) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من لم يرد الطيب (٥٩٢٩).

(٦) أخرجه مسلم كتاب الألفاظ، باب من استعمال المسك وكراهة رد الريحان (٢٢٥٣).

أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ)[١].

٧- سنن الفطرة، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (خمس من الفطرة؛ الختان، وحلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وأخذ الشارب)[٢].

وهذه كلها من قيم النظافة والصحة.

والخلاصة:

على الداعية أن يهتم بقيمة النظافة وحسن المظهر ليقيم دينه، ويحفظ نفسه وصحته، ويكون أنموذجا للداعية الطاهر النظيف، الذي يُظهر الإسلام بالمظهر الذي أراده الله له، فيهتم برائحة جسمه وملابسه وفمه، وتقليم أظافره، وكذلك نظافة لباسه وحسن ترتيبه، ونظافة المكان الذي يعيش فيه، أو يستخدمه من بيت أو سيارة، أو مكان عام ينزل فيه.

ولا بد له أن يهتم بمظهره الشخصي، وأن يظهر الوقار والسكينة، وأن يلبس لباس أهل الخير، وأهل العلم، فإن لكل قوم لباساً، ويمشي مشية أهل العلم، ويكون مظهره جميلاً، وأن يكون متطيباً، محافظاً على الغسل، حتى يكون قدوة صالحة يمثل الدعوة تمثيلاً طيباً أمام الناس، لأنه يمثل الإسلام؛ فليكن معروفاً به بمظهره، وهذا أدعى لقبول دعوته بإذن الله تعالى.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها (٥٦٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب قص الشارب (٥٨٨٩)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة (٢٥٧).